# نحو مقاربة في وصف دلالة النص

د. لبوخ بوجملين

إن فهم النص وإنتاجه يعني الإحاطة بالمحتوى الدلالي الذي يستدعي معرفة بالبنية المفهومية واللسانية لموضوع النص والوقوف على ماجريات مقامه، وكل ذلك إدراكا منا لصعوبة اعتبار النص وعاءا للمعنى دون مراعاة للمقاييس والمعايير المقامية والمعرفية المحدِّدة لمحموله الإخباري.

لقد كان اهتمام علم النفس اللغوي، في فترة الستينيات وتحت تأثير تشومسكي، منصبا على الجوانب التركيبية من خلال الاهتمام بكيفية بناء الجمل وتشكُّلها، ومع بداية السبعينيات تم تطوير أبحاث تهتم بالذاكرة الدلالية وتطرح إشكالية الطريقة في تنظيم مجموعة المعاني وترتيبها، مما أعطى اهتماما خاصا بالنص، و فتح، فضلا عن النقاش حول نموذج تشومسكي ومفهوم البنية التركيبية العميقة، الطريق لنماذج اهتمت أكثر بالدلالة، الشيء الذي دعا المهتمين بعلم النفس اللغوي إلى التساؤل حول أهم مقاربة في وصف دلالة النص، مبتعدين ما أمكن عن التحليل الذي كان يصف الجمل منعزلة، مع إعطاء الأهمية للجوانب الدلالية دون الجوانب التركيبية التي كان لها الأفضلية إلى حين.

لقد اقترح **كينتش Kintsch** (**1974**) تصورا، هيمن طويلا على المقاربات اللاحقة، وذلك بدراسة دلالة النص في إطار نموذج تنظيم الذاكرة الدلالية، وفي مطلع السبعينيات يقترح علم الدلالة النفسي نمطين من التصورات : النمط الأول تمثل في نوع من الإعراب يتم بموجبه تقسيم الكلمة إلى مجموعة من السمات، وهي وحدات دلالية دنيا، واجتماع أو اختلاف عدد من هذه السمات الدلالية هو الذي من شأنه أن يحدد لنا المسافة الدلالية بين الكلمتين، علما بأن هذه السمات هي التي تشكل الكلمة وتساعدنا على تصنيفها . أما **كينتش** فإنه يضع تصورا قضويا للدلالة، والقضية (الجملة الافتراضية)هي الوحدة الدلالية الأساس بدل السمة، وهذا المفهوم يرتكز على نحو الحالة الذي اقترحه فيلمور **(Filmor 1968)** وهو نحو يقدم البنية العميقة للجمل في شكل قضايا مكونة من فعل تصدر عنه علاقات ظاهرة تشبه الحالات (المنفذ -**Agent**–، الأداة -**instrument**–).

**1. " القضية وحدة أساسية لوصف المضمون ودراسته**

بالنسبة **لكينتش** فإن القضية (الجملة الافتراضية) هي وحدة دالة تحتوي على موضوع واحد أو أكثر. وهذه المواضيع هي عناوين مرجعية قد تتعلق بذوات أو أشياء أو أفكار أو قضايا أخرى، أو فضلة توحي بملكية الموضوع، أو يحدد العلاقة بين الموضوعات.

**نباح (كلب) [نبح الكلب]**

قضية ذات موضوع واحد (كلب). المسند إليه (ينبح) يعكس وظيفة الموضوع ويظهرها.

**ينهش (كلب، عظم) [ينهش الكلب عظما]**

قضية قام فيها المسند إليه (ينهش) بربط العلاقة بين الموضوعين (الكلب) و(العظم).

**في (الساحة، ينبح، (الكلب)) [ينبح الكلب في الساحة]**

هذه قضية مركبة يشكل موضوعا من مواضيعها قضية أخرى، يمكن تمثيلها في الشكل الآتي:

**ق1 ينبح (الكلب)**

**ق2 في (الساحة، ق1).**

**هل يمكننا فعلا اعتبار القضية وحدة دلالية؟**

ترتكز هذه فكرة على مضمون الرسالة لا على شكلها، فكلنا يعلم بأن المظهر الحرفي للرسالة يكون عرضة للنسيان بشكل سريع، وما يبقى مخزنا ومحفوظا في الذاكرة هو المعنى، وبالتالي فإن التحليل القضوي لرسالة ما سيسمح بإنهاء مشكلة تشابه الدلالات السطحية المختلفة.

وعليه يمكن تمثيل هاتين الجملتين:

**الفأر ملاحق من القط**

**يلاحق القط الفأر**

بالقضية نفسها:

**ملاحقة (قط، فأر)**

وهو مثال يقودنا إلى أهم المآخذ النقدية تجاه مقاربة التحليل القضوي بشكل حاسم، بما أن هذا التحليل، إضافة إلى إهمال دور المتلقي في تشكيل المعنى، لا يولي أهمية لبعض العلامات اللغوية كزمن الفعل، وبعض العلامات التيمية كالتقديم والتأخير في اللغة العربية، فإن الفائدة الأساسية لهذا النموذج التحليلي هو اقتراحه، في تحليل معنى النصوص وتحديده، وكذا في وصف تنظيم الذاكرة الدلالية نفس الوحدات الواصفة.

ومما تجدر الإشارة إليه، أن معنى أية وحدة معجمية من منظور النموذج القضوي **لكينتش**، مرتبط في الذاكرة بقائمة من القضايا، وكل عنصر من هذه القضايا يحيلنا بدوره إلى قائمة أخرى من القضايا، وهلم جرا، كما أن المعنى الذي يعلن عنه النص مباشرة يمكن تمثيله بواسطة شبكة القضايا.

لقد اقترح كل من **كنتش وفان ديك (1975، 1978)** مصطلح البنية الصغرى ***Microstructure*** لتحديد هذا النوع من شبكة القضايا، إلا أن هذه البنية الصغرى لا يمكنها أن تشكل وصفا لمجموع معاني النص: فمعنى النص ممثل أيضا في مستوى أكثر شمولية، وهو مستوى البنية الكبرى ***Macrostructure***، التي تهتم بكل المعاني والعلاقات التي لا يعلن عنها النص مباشرة، فهناك المستويان لوصف إخبارية النص، البنيتان الصغرى والكبرى هما اللذان يمثلان قاعدة النص، إنهما يشكلان مستويين وسيطين لعرض

مجموع المقامات التي يعلنها النص بين البنية السطحية من جهة، ومستوى نموذج المقام من جهة أخرى، كما يقومان بإدماج كل المعارف النسبية السابقة المرتبطة بهذا المقام.

**2.الانتظام البين قضوي : البنية الصغرى للنص**

تتشكل البنية الصغرى للنص من مجموع القضايا المتعلقة بالبنية السطحية للتعبير، ففي المثال الذي يسوقه **كينش:**

**أحب اليونانيون الفن الجميل، وعندما غزاهم الرومان قلدوهم، وتعلموا هم أيضا إنتاج فن جميل.**

وهو مثال يمكن تمثيله، وفقا لما سبق، في القضايا الثمانية التالية:

1. **أحب (اليونانيون، الفن)**
2. **الفن (الجميل)**
3. **غزا (الرومان، اليونانيين)**
4. **قلد (الرومان، اليونانيين)**
5. **عندما (3.4)**
6. **تعلموا (الرومان، 8)**
7. **النتيجة (3،6)**
8. **إنتاج (الرومان، 2)**

يتحقق انسجام البنية الصغرى هنا، في حال ارتباط كل قضية بقضية أخرى على الأقل، بواسطة موضو ع مشترك. إن هذا التكرار في الموضوعات يشكل أهم خاصية للبنية الصغرى، وفي حال أن القضايا المشتقة من النص لم تسمح بتشكيل روابط من خلال تكرار الموضوعات، فإن آلية الفهم لدى القارئ تقوده، لا محالة، إلى استنباط قضايا غير ظاهر ة في النص من أجل تشكيل شبكة متماسكة ومترابطة.

لا يمكن اختزال البنية الصغرى في مجرد قائمة من القضايا، بل هي شبكة تتحدد علاقات عناصرها بواسطة تكرار الموضوعات، فضلا عن كونها شبكة تواتبية تشغل كل قضية فيها مستوى من هذا التواتب : يمثل قمة التدرُّج (المستوى1) القضية الأهم، ثم (المستوى2) القضايا التي تستمد موضوعها من قضية المستوى 1، يلها المستوى3 إلخ..

ففي المثال السابق، نجد في المستوى 1 القضية1، في المستوى 2 القضايا4،3،2، في المستوى3 القضايا8،7،6،5.

خلاصة القول، أن البنية الصغرى هي وصف الدلالة الداخلية للنص، لتصبح شبكة من القضايا التراتبية.

**3.القيمة النفسية لمفهوم البنية الصغرى**

تشكل القضية وحدة ضرورية في معالجة النص، ويؤكد ذلك أن الوقت الذي نستغرقه في قراءة نص ما لا يتوقف على طوله، بل على عدد القضايا الذي يتشكل منها. لقد اقترح كل من **كينتش وكينان (1973)**، على مجموعة من الأشخاص قراءة فقرات متساوية الطول (من **16**إلى **17** كلمة)، لكنها مختلفة في عدد قضاياها ال صغرى (من**4** إلى **9** قضايا)، فوجدا أن

الوقت المستغرق في قراءة الفقرات يتناسب طرديا مع عدد القضايا المكونة لها، مما يدل على أنه من الصعب على عدد محدود وثابت من الكلمات أن يضاعف عدد القضايا من دون أن يحدث تعقيدا على مستوى الانتظام التركيبي للفقرات، هذا التعقيد التركيبي الذي يتسبب في إطالة الوقت المستغرق في القراءة.

ويعد تكرار الموضوعات أساسيا في تشكيل معنى النص ، وهنا يمكن لعدد محدود وثابت من الكلمات أن يشكل نصوصا ذات موضوعات قليلة ومتكررة، أو نصوصا تحتوي على موضوعات عديدة ومختلفة ، فجملة: ( **طلب محمد تفاحة، كان طعمها لذيذ)** تحتوي على موضوعين مختلفين (محمد وتفاحة )، في حين تحتوي جملة : **(طلب محمد تفاحة، فلبى النادل طلبه)** على ثلاث موضوعات (محمد وتفاحة والنادل ). لقد أجرى بعض العلماء مقارنة في تحديد زمن قراءة بعض النصوص ، فلاحظوا أن زمن قراءة النصوص القصيرة كما الطويلة يتحدد طرديا بعدد الموضوعات المختلفة الموجودة داخل البنية القضوية المستترة.

تلعب التراتبية القضوية أهمية في تخزين القضايا داخل الذاكرة، والقضايا ذات المستوى الأعلى هي القضايا الأ كثر تذكرا، والأكثر اكتشافا أثناء القراءة، وهي البعيدة عن النسيان.

إن هذه السلسلة من ال موضوعات التي تبين الأهمية النفسية للبنية ال صغرى، هي التي تصقل مفهوم البنية الصغرى الذي طوره **كينتش 1974،** مع أنها موضوعات محدودة في بعض جوانبها، لأن في التجارب التي أجراها بعض العلماء والتي اعتمدوا فيها ع لى عدد القضايا، أو عدد الموضوعات، لم يهتموا فيها بملاحظة الجوانب اللسانية، ونقصد على وجه الخصوص الجانب التركيبي، وقد أشرنا إلى أنه لا يمكن لعدد ثابت من الكلمات أن يرفع عدد القضايا المستترة، من دون أن يحدث تعقيدا على مستوى التركيب، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، أنه لولا المستوى التراتبي الذي يبعث على التذكر، فإن كل القضايا ذات المستوى الأعلى لا يمكن تحصيلها، في حين يمكن تحصيل قضايا أقل شأنا، وعليه فإن المستوى التراتبي المعتمد في التحليل القضوي لا يعدو أن يكون أحد المؤشرات في إبراز الأهمية الإخبارية للنص. إن هذه الملاحظات تبرز بشكل واضح عدم دقة موضوع التراتبية القضوية، ثم إن قيمة البنية التراتبية المستخرجة تقوم على اختيارنا لقضية أولية؛ وهي القضية الأكثر أهمية التي تكون عادة في مستهل الفقرة ..، لكنها تبقى من حيث قيمتها الموضوعاتية، من منظور تدليلية النص، نسبية.

وبغض النظر عما سبق، فإن فكرة البنية ال صغرى لهي بالأ همية بما كان بالنسبة لعلم النفس اللغوي، كما أنها سمحت بتطوير نموذج معالجة قاعدة النص، أضف إلى ذلك أن التحليل القضوي يساعدنا على تحديد المستويات ذات الأهمية البنيوية، كما يقوم بتمثيل بنية النص، ليس في شكل متتالية خطية، ولكن كشبكة مفاهيمية تراتبية.

وعليه، فإن هذا النوع من التحليل يعد بالنسبة لعلماء النفس اللغوي أدوات إجرائية ومنهجية غاية في الأهمية لتطوير فهم النصوص وتخزينها في الذاكرة استنادا على مقاييس مخالفة لمقاييس إنتاج الشكل الحرفي للنص الأصلي.

**4. إنجاز المضمون الدلالي الكلي: البنية الكبرى**

مثل البنية الصغرى، تتشكل البنية الكبرى من قضايا، بله من أنماط مختلفة القضايا الكبرى التي تتكون حسب طبيعة العمليات التي نقوم بها، كأن نقوم مثلا باختصار للنص قصد استخراج دلالته الكلية، أو ما نقوم به من نشاط للفهم يرتكز على تشكيل تصاعدي لتمثيل جامع لدلالة النص**(Richard, 1990)**.

لقد اقترح **فان ديك (1980)**، وصفا للقواعد (قواعد كلية) يسمح بملامسة انجاز البنية الكبرى، ومن مميزات هذه القواعد الكلية أنها تختزل البنية الصغرى (مما يحدث إهمالا للإخبارية) وتنظمها (العديد من القضايا الجزئية تدمج في قضية كلية)، كما تمثل خاصية تكوينية لأنها تسمح بإنجاز وحدات جديدة أكثر تعقيدا.

وأول هذه القواعد الكلية، قاعدة الإلغاء **(DELETION)**، التي تقوم بإلغاء كل القضايا المرتبطة بجوانب جزئية التي لا قيمة لها في تأويل قضايا أخرى.

القاعدة الكلية الثانية، وهي من جنس السابقة، وهي قاعدة الإلغاء الصارم **(STRONG DELETION)**، وتقوم بإلغاء عناصر قد تكون مهمة على المستوى الداخلي، ولكنها غير ذلك في التأويل الكلي للنص.

القاعدة الكلية الثالثة، وهي قاعدة التعميم، والتي لا تقوم بإلغاء القضايا الجزئية كسابقتيها، ولكنها تقوم بتعويضها بقضية أعم تقوم باحتوائها، وهذه القضية الكلية تتفرع إلى متتالية من القضايا الجزئية التي تعكس خصوصياتها، فعلى سبيل المثال، القضية الكلية:

**الأطفال يلعبون**

هي تعميم للقضايا الجزئية:

**محمد يلعب الكرة، خديجة تداعب لعبتها، عمر يبني بيتا في الرمل**

القاعدة الكلية الرابعة، وهي قاعدة البناء **(CONSTRUCTION)**، والتي تقوم بتعويض مجموعة من القضايا الجزئية بقضية كلية جرت العادة أن تكون سببا لها، مثال ذلك:

**سافر محمد بالقطار**

هي بناء لـ:

**ذهب محمد إلى محطة القطار، فاشترى تذكرة، وتوجه إلى مصطبة الركوب..**

وعليه، فإن البنية الكبرى والبنية الصغرى قد تتصادفان في بعض الحالات، فقد تؤخذ بعض قضايا البنى الصغرى، لكونها ذات مستوى أعلى، على أنها قضايا كلية (قاعدة كلية تساوي صفر).

إن تطبيق هذه القواعد الكلية يسمح لنا بالمرور من مستوى تمثيل داخلي لدلالة النص (البنية الصغرى) إلى مستوى تمثيل أكثر شمولية (البنية الكبرى). ومن أهم مميزاتها، في إطار ما اقترحه **فان ديك وكينتش**، أن لها خاصية التجدد ومعاودة الظهور، فبمجرد أن ينجز المستوى الأول من البنية الكبرى، فإن هذه القواعد تصبح قابلة للتطبيق مجددا، مما

يسمح بالتوصل إلى مستويات مختلفة من التمثيل، ليقوم المستوى الأعلى بتشكيل نوع من الخلاصة المركبة للنص.

إن إنجاز البنية الكبرى لا يتحدد دوما بواسطة البنية الصغرى فقط، إن الأمر لا يتعلق بصيرورة استدلالية تصاعدية، ثم إن تطبيق القواعد الكلية يتحدد بواسطة المعارف : معارف مفاهيمية من ناحية، ومتعلقة بالبنى النصية (البنى العليا) من ناحية أخرى.

**الواقع النفسي للبنية الكبرى**

هل يمكننا، فعلا، أن نعتبر أن قاعدة النص مكونة من مستويين متمايزين، مستوى البنية الصغرى من ناحية، ومستوى البنية الكبرى من ناحية أخرى؟ حسب **كينتش وفادييك (1975)**، فإن ملخص النص يعد انعكاسا جد مباشر للبنية الكبرى المشكّلة من طرف القارئ، فعندما طلب من بعض الطلبة الأمريكيين أن يلخصوا أقاصيص من الثقافة الغربية **(*Decameron* de Boccace)** وأقاصيص من الثقافة الأمريكية- الهندية **(contes apaches)**، فقد لوحظ أن هناك تشابها كبيرا في ملخصات الطلبة فيما يخص أقاصيص "**ديكامرون**" خلافا لأقاصيص "الأباش". **كينتش وقرين (1978)**، وتأويل ذلك أن هناك خلفية لدى الطلبة ولدت لديهم تصورا موحدا في شكل بنية ممتازة **(Superstructure)** بالنسبة لأقاصيص "**ديكامرون**"، في حين أن النظام السردي لأقاصيص الأباش غير اعتيادي، وغير مطابق لمخطط التصور الموحد، فغياب البنية الممتازة قاد إلى تنوع إنجاز البنية الكبرى.

وكطريقة أخرى في دراسة واقع البنية الكبرى، هو أن نزيد من صعوبة إنجازها وذلك بواسطة التغيير في ترتيب فقرات النص (يعاد ترتيب الانسجام الكلي، البنية الكبرى، مع الاحتفاظ بالانسجام الداخلي، البنية الصغرى)، ومثل هذا التغيير في ترتيب فقرات النص من شأنه أن يكون له تأثير مهم، ويبدأ ذلك بأن يطول الوقت المستغرق في القراءة ، وبعدها لا نلاحظ أي اختلاف في الوقت المستغرق لوضع ملخصات من قبل المختَبرين، ولو قمنا بمقارنة الملخصات المنجزة لوجدنا أنها متشابهة مهما كان الترتيب في عرض الفقرات أثناء القراءة، وتفسير ذلك أن البنى الكبرى قد أُنجزت أثناء القراءة التي طالت مدتها وهو الاختلاف الوحيد الملاحظ.

وبناءا عليه، ومن منطلق الفكرة المتبناة من أن النص أداه لحمل المعنى، فقد سمح لنا ذلك من ملامسة فكرتين أساسيتين هما:

القضية الدلالية : وقد اعتبرنا أن القضية قد تشكل وحدة ملائمة لدراسة محتوى النص.

مستوى التمثيل : يمكن تمثيل المحتوى الإخباري للنص في مستويات مختلفة : بعضها يشكل تمثيلا حرفيا للإخبارية، وبعضها الآخر يشكل تأويلا أكثر شمولية.

## الإحالات

[1]. الذاكرة الدلالية(mémoire sémantique): هي القدرة الذهنية على استحضار أو استعادة المدلولات والتصورات وربطها بدوالها.

[2]. Conception componentielle: توجه لساني يتم بمقتضاه تحليل الكلمة إلى مكوناتها الأساسية (التحليل المكوناتي )

[3]. Conception propositionnelle : توجه لساني يتم بمقتضاه تحليل النص وفق قضايا، هي من المنظور النحوي وحدات تركيبية أساسية للجمل، مكونة في عمومها من فعل ومركب اسمي أو أكثر .

[4]. نحو الحالة، أو قواعد الحالة: نظرية دلالية وضع دعائمها شارل فيلمور، وهي نظرية تهدف إلى اكتشاف العلاقات الدلالية التي تربط الفعل بمختلف الحالات، أو ما يعرف بالمكونات الاسمية على مستوى الجملة، ومصطلح الحالة كان مستعملا بكثرة في القواعد التقليدية الإغريقية للدلالة على الصيغ الخاصة بالأسماء والضمائر، والتي تتجلى في شكل زوائد تصريفية أو تغيرات جذرية على مستوى السياق للتعبير عن وظيفتها في الجملة وعلاقتها بالكلمات الأخرى .(أحمد مومن، اللساني ات – النشأة والتطور- ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، ط3، 2007).

[5]. ترجمة للمصطلح الفرنسي proposition، ويمكن أن تكون مساوية لمفهوم الجملة الافتراضية أو الجملة المقدرة.

## المراجع


1. **أحمد مومن، اللسانيات –النشأة والتطور- ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، ط3، 2007.**
2. **KINTSCH W. (1974),** ***The representation of meaning in memory,*** **New York, Wiley and Sons.**
3. **KINTSCH W., VAN Dijk T.A. (1975),** Comment on se rappelled et on résume des histories**,** ***Langages, 40, 98-116.***
4. **KINTSCH W., VAN Dijk T.A. (1978),** Towards a model of discourse comprehension and production, *Psychological Review, 85,363-394.*
5. **KINTSCH W., KEENAN J. (1973),** Reading rate and retention as a function of the number of propositions in the base structure of sentences**,** ***Cognitive Psychology, 5, 257-274.***
6. **RICHARD J.F. (1990),** *Les Activités mentales, Paris, Colins.*
7. **VAN Dijk T.A. (1980),** *Macrostructures, An interdisciplinary study of global structures in discoures, interaction and cognition, Hillsdale, NJ? Lawrence Erlbaum Associates.*
8. **KINTSCH W., GREENE E.? (1978),** The role of culture-specific schemata in the comprehension and recall of stories, *Discoures Processes*, I, 1-13